الإشاعات وتأثيرها

لحضرة صاحب السعادة محمد حسين باشا

محافظ الاسكندرية

فى هذا العصر الذى تتطاحن فيه القوى وتتصارع المبادئ تقف الجماهير التى لم يقسم لها النزول الى ميدان الصراع ، تنتظر حكم القضاء فيها ، وعقبى الوغى فى حاضرها ومستقبل بنيها . فلا عجب اذا أرهفت الآذان لكل خبر و إشاعة ، وتنسمت الانباء من ساعة الى ساعة ، وفى طبيعة البشر حب الاستطلاع واللهفة على جديد المتاع والمسارعة الى كل حديث طريف والأنباء لا تفتأ تتجدد وتتغير وتتعاقب وتتوارد ، ينقض بعضها بعضا و يطغى حديثها على قديمها وتتلاطم أمواجها وتتدافع آثارها . والناس فى هذا المعترك كالريشة فى مهب الرياح لا يستقرون على حال ولا يطمئنون الى حقيقة ولا يدرون ما يأخذون وما يدعون .

ومن أدواء المجتمع أن فيه فئات من الناس مولعون باذاعة الأخبار ورواية الأحاديث صادقها وكاذبها صحيحها و باطلها ، يجدون لذة فى الخروج على الناس بنبأ ، ومتعة فى افتنان الناس بحديثهم وفتنة فى اقتدارهم على اجتذاب السامعين اليهم ، يتصدرون المجالس أو يندسون فى المجامع و يطلقون ألسنتهم بالأخبار ، فاذا أنسوا من السامعين إقبالا و إصغاء وقد خلت جعبتهم من القول خلقوا الأخبار خلقا واخترعوا الأنباء اختراعا ولهم فى ذلك وسائل أتقنوها وأساليب ألفوها ، يوهمون السامع أنهم قد فازوا بسر كانت دونه أغلاق وأقفال . وأنهم قد وقعوا على نبأ تصيدوه من فم الأسد واستخرجوه من باطن الصخر وأنهم قد استخلصوا سرا ما كان ميسورا لهم لولا ثقة صاحبه فيهم واطمئنانه الى ألسنتهم القصيرة وصدورهم الكتومة ، ثم يحيطون أحاديثهم بعهود ومواثيق وأقسام وأيمان يحسبون أنها ترفع من قيمة الخبر فى نفس السامع وتضعه من قلبه موضع القبول والتصديق وتزيد من ثقته بهم و إقباله عليهم . ولقد يحلو لهم ، ما يبعث الضحك المر فيطلقون الخبر و يرسلون الذائعة و يراعون بالتعفف عن ذكر المصادر والأسماء حفظا لعهد بينهم و بين صاحب السر أو تورعا عن إقحام أسماء العظماء فى مجالس الدهماء . أولئك هم آفة الأخبار وشياطين المجالس ، نعوذ بالله من سوء مايفعلون .

هذه بضاعتهم النافقة فى المتاجر ، الرائجة فى السوق ، كلنا عالم بزيفها ، أو شاك فى حقيقتها ، وكلنا كاشف من زخرفها و باطلها ، لكن الكثيرين منا يخدعون بين حين وحين ،

أنها ليقبلون عليها ، بل يتدافعون اليها ويتناقلونها ويتبادلونها كما لو كانت حقا غير مسلوب وصوابا غير مكذوب ، وإنها حال تدعو للحسرة فبعض القلوب ضعيف وسلطان الهوى قوى ومداخل الشيطان خفى .

نجحت هذه الحرب نجاحا واسعا لهذه الفئة من الناس رجت من ورائه تجارتهم واتسع مجال العمل ، وكلما أقبل الناس على تسمم الأخبار دفع هؤلاء الأفاكون بضاعتهم المبهرجة الى السوق فلقيت رواجا وكان شأنهم فى ذلك شأن نسبة التحرية العامة المستندة الى غالب العرض مع الطلب .

لا حديث للناس إلا الحرب ، ولا نقاش هم إلا فى أخبارها ، ولا جدال الا فى عوقبها يتداولون بذكرها ما طبعت عليهم به الصحف ووسائل الاذاعة من الأخبار ، ثم يتناولونها بالتفسير والتعليق والشرح والتلفيق ، ثم يضيفون اليها ما استقوه من " مصادر الثقة " وما يعلمه بعض العالمين ببواطن الأمور " وما تنتهى اليهم من أكنة الأسرار وحفظة الأخبار والأمناء على الرسائل السياسية والخطط الحربية ، ويخرجون من كل هذا بصور من الأخبار والأنباء متباينة أوضاعها ، متناقضة مراميها لا تتفق فى نهاية ولا تنتهى الى غاية ولا تمت الى حقيقة بسبب ، ثم يتجادلون ويتناقشون فيما يخلقون ويصورون ، لو كان حقيقة مقطوعا بصدقها أو وثيقة لا مطعن فيها .

ومن أسوأ ما انتهت اليه مدنية هذا العصر أن الأمم المتحاربة قد لمست هذا الضعف النفسانى فى الناس ووضعت أصابعها عليه ، فاستغلته لحسابها ووجهته لمصلحتها وخدمة أغراضها ، فخلقت هيئات منظمة مأجورة شأنها نشر الأخبار وبث الدعوة وإذاعة الأنباء ، ولو كانت غايتها من ذلك بث الطمأنينة فى النفوس وتهدئة الخواطر وتقوية الثقة فى عرى الايمان لما كان على عملها مطعن ولا مأخذ ، ولكن الشر الذى نشكوه ، والبلاء الذى نفزع منه أن هؤلاء الناس يرمون الى غرض أقل أخطارها أنها تبعث الفزع فى النفوس وتقتلع الثقة من القلوب وتسلب الصدور ايمانها وتحرم العقول ذكاءها ، فيصبح الناس وقد فعمت فيهم الاشاعات أفاعيها حيارى يتخبطون فى ظلام الباطل لا يستطيعون تدبير أمورهم ، ولا يتبصرون فى حلهم ولا يستعدون لمستقبلهم .

أما هذه الاشاعات فما أكثرها ، بل آثامها كثيرة ، لا عد منها ولا نحددها ، وحسبنا أن نشير الى ما تحدثه من فزع فى القلوب ، واضطراب فى الأفكار ووهن فى الأعصاب ، وأى شىء أدعى الى الفزع والجزع من أن يذاع بين الناس أن ما يخبئه لهم الغد القادم هو شر وبيل وبلاء عظيم وقتل شديد وبحار وسيول من الدماء كالأنهار ، وما الى ذلك مما يذهل له العقول ، ويرجف به المرجفون .

وأى شيء أدعى الى الحق من تذييعه الاشاعات ، من أن أموال الناس ستهبط قيمتها وأقواتهم سيضطرب معينها وأن قيم ستهب عليهم وتوحد سبلا وأن مجاعة قد بدت بدرها واقتربت ساعتها .

ألا ترون أن هذه الاشاعات تدفع الى اليأس ، وتوقع الاضطراب فى الحالة الاقتصادية ووسائل العيش بالبلاد ؟ ألا ترون من آثارها اندفاع فقير الى اليأس وعى ان الشح وتاجر جشع الى اخفاء بضاعته صانعا يهب على السوق المعتدلة ودخرا السوق المرتفعة . وبين هؤلاء وهؤلاء يذوق جمهور الشعب من العذاب ألوانا .

أليس من آثار تضارب الإشاعات وتناقضها أن ينقسم الناس بعضهم على بعض أحزابا وشيعا ، هذا يناصر فريقا تشيعا لقوته ، وهذا يناصر فريقا آخر رحمة بحاله ، وكلا الفريقين لا يعلم موطن الحق ولا موضع الصواب ولا ما يضمره المستقبل من مخبآت . وما هى إلا شائعات قد نشرها ذوو الأغراض ليوقعوا بين الناس العداوة والبغضاء ، ويقسموا صفوفهم بعضا لشحناء ، فتضعف قواهم وتتفكك وحدتهم ، ثم يطوف بينهم الشيطان بقرنيه ، وهم ضعفاء حائرون متحادون .

أرأيتم الى الاشاعات ، كيف لعبت بالحركة العالمية الاقتصادية ؟ أرأيتم الى الاشاعات كيف تنشر الفزع والجزع ، أرأيتم الى الاشاعات كيف تبث الفساد فى وحدة الأمة ؟ كل هذا قيل : بل قيس الى بلائها الأعظم وشرها الأحمر ، ألا وهو شل اليد العاملة والعقل المدبر فى الأمة .

فالعامل الذى يستقر فى نفسه أن شمس الغد لن تطلع عليه بخير لا يرجى منه أن يبكر الى عمله الذى يرزق منه هو ومن يعول ، والرجل الذى يشتغل بعقله وينتهى اليه كل يوم بأمل به وبأهله مع شمس الصباح ألا يتلمس عقله فيجده مشغولا ، ويبحث عن تفكيره وتدبيره فيجده معطلا ؟

وكيف يستقيم الأمر لأمة قد فقدت يدها العاملة وعقلها المدبر ؟ أليس فى هذا القضاء والفناء ؟

الناس من خوف البلاء فى بلاء ، فهم قبل أن ينزل بهم الشر حائرون يرتجفون ، وهم اذا نزل بهم الشر لا يجدون منه مخرجا بحيلة ولا مخلصا بتدبير ، وهذا كله من آثار الإشاعات .

لا عجب إذا سميت هذه الحرب حرب الأعصاب ، واليد العاملة فيها هى الإشاعات ، وإن كان لنا أن نذكر بالسوء أثرا من آثار المدنية والحضارة فلنذكر تيسر سبل المواصلات بالراديو والتغراف بأنواعه ، ولكن العقل السليم والتفكير الصائب يقتضيان علينا أن نأخذ من كل شيء خيره ومنفعته وندع منه شره ومضرته ، فرواة

لاخبار نضلة عن عوامهم و باطلهم " ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " ثم نستيقن أن للقائمين الأمر ، فى الحرب والسياسة ، أسرارا دونها حجب وأسوار .

ونتدرع بالصبر ، والثقة فى البأساء ، والطمأنينة والرضا فى الرخاء ، ونعلم أن ما يذاع وما يقال ، عما يأتى به المستقبل ليس إلا رجما بالغيب ، فلا يعلم إلا الله ماذا يأتى به الغد ، وما دام الغد مجهولا مستورا فلنوطن النفس على أن فيه الخير ، ونتخذ العدة لما قد يكون فيه من شر ، فإن صدق حدسنا فى خيره فقد نعمنا بالطمأنينة فى يومنا والخير فى غدنا ، وإن خاب ظننا فقد استمتعنا بالطمأنينة فى يومنا وأعددنا العدة لغدنا .

هذه هى جادة الحق ، وسبيل الرشاد ، وليس أدل على فساد الرأى فى الأخذ بالاشاعات من تناقضها واختلافها ، فإن كنت بحيث لا يصل بصرك إلى السماء ، وقال لك قائل : ان فى الجو غيما ، وقال لك آخر : إن السماء صافية ، فلا محيد عن أن تحكم بأن أحدهما كاذب ، وخيرك أن تظل هادئا حتى يأتيك النبأ اليقين ، وما بالك بالغيب ، وهو محجوب عن العالمين ؟

إنه لمن فضل الله أن يكون بين أفراد الأمة عقلاء مفكرون ، يتبينون الجيد من الرائف ، ويميزون الحق من الباطل ، ويرشدون الناس إلى سبيل الهدى وجادة الحق يديرون أمورهم ، ويرعون مصالحهم ، ويسهرون على خيرهم ونفعهم ، ولكن أولئك وحدهم ، لا يستطيعون الأخذ بيد الأمة ما لم تكن الأمة مستعدة للنهوض ، واسير بفضل ما تعقد عليه عزمها ، من الأخذ بأسباب الحزم ، والاستمساك بالثقة والصبر ، والشجاعة وحسن الاستعداد ، والطمأنينة وحسن البلاء .

بهذا أوصى لجميع ، وأرجو أن يتدبر الناس أمرهم على هدى وبصيرة من أحكام الدين والعقل ، ويعلموا أن الاستسلام للإشاعات والأخذ بأقوال المرجفين ، شر من وقوع البلاء ، وأنكى من أحداث الكوارث .

ولا أريد أن أختم كلمتى قبل أن أندد مرة أخرى بهؤلاء المرجفين مروجى الاشاعات ، وبحسبى أن أذكر حديثا ، صح عن النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال " أبغضكم الى الثرثارون " وإذ قال " وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم " وقانا الله وإياكم سوء حصائد الألسن .

هذه عجالة فى الإشاعات وأثرها ، منها نرى أن الحزم والحكمة يقضيان بالبعد عن لغو الحديث قولا واستماعا ، والخوض فى الباطل ، والحذر من تلك الشراك التى ينصبها المروجون للإفك . وقبل هذا وذاك لتمتلئ قلوبنا بالثقة بالله والايمان بعدله ، بهذا تهدأ الخواطر ، ويستقيم أمر الناس ، وينصرف كل إلى عمله بنفس مطمئنة ، وتدبير هادئ صحيح ، وفى ذلك الخير كل الخير .

محمد حسين